مجلس يزيد من مفاخره قائلاً: أنا ابن من هو ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾.

والشقاء منها العناء في طلب الخير تعباً فوق الميسور كما هنا، ومنها العناء من جراء الشر وهي الضلالة في الأولى والأخرى، وساحة الرسول الأقدس براءٌ عنها، و﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ تلمح لمحة لامعة بمناسبة الحكم والموضوع أن نزول القرآن كان له شخصياً ورسالياً منزل الشقاء والعناء ولأنه قول ثقيل: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ فالقول الثقيل يقتضي للمقول له العبء الثقيل، والتعبد الثقيل، دون أن يكتفي بالميسور القليل، ولذلك أخذ يتكبد فيما يتعبد حتى جاء أمر الجليل بالتقليل ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾:

أجل، ليس القرآن مجالاً للشقاء على أية حال، حيث المحور الأصيل فيه في كافة مجالاته وجلواته يُسردون عسر، فإنه ميسَّر للذكر لكل مدّكر فضلاً عن مَنْزِل وحيه ومهبط رسالته: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[1] فلا تتجاوز تكاليفُه طاقة الإنسان أياً كان، إذ لا يفرض إلّا ما في الطوق والسعة، نِعمة دون شقوة ونَعمة.

كما أننا ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ في حمل الناس على الهدى، فتغيُّظاً وتضيُّقاً حين لا يؤمنون، واستزادة حين يؤمنون، إذ ليس عليك هداهم، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ولا تك في ضيق مما يمكرون، فإنما الغاية القصوى منه محصورة في:

﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ تذكرة للمدَّكر، وتبصرة للمتبصر، فـ ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾[2]

(١) سورة القمر، الآية: ١٧.
(٢) سورة يس، الآية: ١١.

والاستثناء هنا من أوصل المتصلات دونما انقطاع، فـ ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ في الأولى أو الأخرى، ولا لأمور أخرى ﴿إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ﴾ومما يشهد لذلك الحصر أن الذكر هو من أسماء القرآن الأصيلة، ذكراً لكافة الآيات آفاقية وأنفسية جملة وتفصيلاً.

وقد تتوسع ﴿لِتَشۡقَىٰٓ﴾ وما أولاها، إلى أنك تشقى وتتعب في نفسك ودعوتك تذكرة لمن يخشى، حيث تنذر به قوماً لداً، فما شقاؤك وعناؤك كرسول إلّا للذكرى، وأما أنت يا رسول الهدى فقد يكفيك ما أنت دون نَصَب في تعبدك فإنك ﴿أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ﴾[١].

فالمعني إذا - ضمن ما يُعنى - ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ هكذا ﴿إِلَّا﴾ شقاءً وعناءً ﴿تَذۡكِرَةٗ﴾ بهذا القرآن ﴿لِّمَن يَخۡشَىٰ﴾! فلولا تعب المذكر في اصطناع نفسه ثم المحاولة في اصطناع غيره، لم تكن التذكرة تلك الكافية البالغة لمن يخشى.

والخشية هي الضراعة في الجوانح كما الخشوع للجوارح، وهي خوف يشوبه تعظيم عن علم بما يخشى منه فـ ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[٢] وعلى ضوئها الخشية من الحياة الأخرى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا﴾[٣]: ﴿ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ﴾[٤].

فحين لا تكون خشية فحَمل القرآن حِملٌ وشقاء، وإذا جاءت الخشية فحمله نعماء مهما كانت فيه من عِناء، وأنت يا أوّل العابدين في شغف بالغ من خشية الله، يسهل عليك كل عناء في سبيل الله، ولكن لا عليك أن تشقى بالقرآن فوق ما عليك.

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٨١.
(٢) سورة فاطر، الآية: ٢٨.
(٣) سورة النازعات، الآية: ٤٥.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٤٩.

ولأن التذكرة ليست إلّا عن غفلة، فلتكن مادتها موجودة لمن يخشى، وهي كذلك لمن يخشى ومن لا يخشى، حيث الفِطَر مفطورة على معرفة أصول المعارف الدينية، والعقول الصافية الضافية تتبناها في نضدها ونضجها، استيحاءً من وحي الله التي يكملها ويفصلها، فالعقول تأخذ من الفِطَر بشمائلها الميمونة، ومن الوحي بأيمانها الميمونة، وذلك المثلث البارع ينتج ديناً بارعاً لا عوج فيه ولا ريب يعتريه.

وهكذا يكون القرآن تذكرة بالفعل لمن لم تحجب فطرته، ولم تُكسف عقليته، فهو خاش للحق، متحرٍ عن الحق، متربص تشريفه ليتذكر ما استغفل، ويكتمل على غراره ما هو قاصر، فمن يخشى وهو يسعى فالقرآن له ذكرى، ومن لا يخشى وهو يتلهى لم يكن له ذكرى، باقياً في غفلته، باغياً في غفوته وشقوته.

وترى لماذا التعبير عن عبء التعب بـ ﴿لِتَشۡقَىٰٓ﴾ دون صيغته الأصيلة السائغة للكتاب البيان؟ لأنه لا يعني - فقط - منعه ﷺ عن التعب البالغ في بعدي الرسولية والرسالية، بل وجواباً عما افتري عليه: «إنك لتشقى حيث تركت دين آباؤك» إذاً ﴿لِتَشۡقَىٰٓ﴾ بيان مجمل جميل عن هذا المثلث، سلباً للشقاء عناءً وغير عناء، وتثبيتاً لشقائه وعنائه بعض الشيء تذكرة لمن يخشى.

إذاً فشقاؤه ﷺ في ﴿لِتَشۡقَىٰٓ﴾ بين موجبة وسالبة، موجبة دون الحرج تذكرة لمن يخشى، وسالبة حدَّ الحرج إذ تورمت قدماه، وسالبة ثانية هي فرية المفترين عليه أن في نزول القرآن شقاءه إذ خرج عن دين الآباء!.

وطبعاً ليست «لتتعب» لتعني ما عنته ﴿لِتَشۡقَىٰٓ﴾ من مثلث المعنى المعني حسب شؤون النزول هنا.

﴿تَنزِيلًا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ۝٤﴾:

ذلك القرآن المنزل عليك ذكراً وتذكرة لمن يخشى، حقاً فيه الكفاية

لكل تذكرة، دونما حاجة إلى نسخ أو تكملة، لأنه ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ فكما أن خلقه التكوين يعم الكون كله، كذلك كتابه التشريع التدوين يشمل الخلق كله ﴿تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ في كل ذكرى تتطلبها الحياة الإنسانية العليا على مدار الحياة ومرّ الزمن.

وكما ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾ سيطرة مَلِكية ومالكية على الكون كله، كذلك كتابه العظيم مسيطر في ذكراه على العالمين أجمعين.

وهنا في ﴿تَنزِيلًا﴾ وجوه عدة وجمعها أوجه: نصباً على المفعولية لـ ﴿يَخْشَىٰ﴾ حيث يخشى تنزيلاً ممن خلق الأرض والسماوات العلى».

ونصباً، بدلياً عن «القرآن»: ما أنزلنا عليك القرآن.. تنزيلاً، وثالثاً على المدح والاختصاص: نخص تنزيلاً... وذلك الاختصاص هو الذي يؤهله للتذكرة العامة الدائبة، ورابعاً على الحالية للقرآن المُنْزَل، ومربع المحتملات محتملات تحتملها الآية لفظياً ومعنوياً.

وهنا تَقَابُل الأرض للسماوات العلى يلمح أنها جنس الأرض الشامل للأرضين السبع، كما تلمح له ثانيةً ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ فهما - إذاً - تعبيران عن الكون كله ككل كتاب التكوين، تأشيراً عشيراً أن القرآن هو كل كتاب التدوين.

وإشارة أخرى، الأرض هي أراضي القلوب خاشية وغاشية، والسماوات العلى هي القرآن حيث تضم كل سماوات الوحي، يحمله الرسول الخاتم ﷺ، فلا شقاء للسماوات العلى أن تمطر غزيرة الوحي الهاطل على أراضي القلوب، ثم لا شقاء للقلوب في تقبلها تلك الأمطار، لا شقاء العناء ولا غير عناء، مهما شقيت قلوب مقلوبة خاوية عن الهدى، مليئة بالردى.

ثم ﴿ٱلْعُلَى﴾ في مواصفة «السماوات» دليل علوها على الأرض كلها

حول أكنافها، محيطة بها، حائطة لها، منزلة عليها من مائها وسائر رحماتها، إذاً فالأرض محاطة بالسماوات فمدورة كما السماوات، سائرة حائرة في خِضمِّها، غير مائرة في حراكها حيث ﴿ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾[1].

فكما الأمطار تنزل على الأرض من عليا السماوات مكاناً، كذلك القرآن منزل من عليا سماوات الوحي مكانة، إذ ليس لله مكان ينزل منه القرآن، وإنما ﴿تَنزِيلًا﴾ من عليا الربوبية، إلى دنيا القلوب.

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾:

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ - رَفعاً، خبراً عن «هو» المقدرة، أم مبتدأً لـ ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ أو «الله» المؤخرة وكلها صالحة - هي من أعم الصفات الإلٰهية، شاملة لكل الرحمات تكوينية وتدوينية، فهو مستوٍ مستولٍ بعدما خَلَق على كل ما خلق تكويناً وتشريعاً، دون تفلُّت لها عنه تعالى، ولا تلفت له تعالى عنها، فهو المدبر لها كما هو الخالق إياها، سبحانه وتعالى عما يشركون.

فللّه عرشٌ قبل خلق السماوات والأرض وهو على المادة الأولية الأم: «الماء» ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾[2].

وعرشٌ بعد خلقهما في حياتهما الدنيا، وقد تعنيهما العرش هنا ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ وعرش في قيامتها ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾[3] وكل ذلك يعني استيلاءَه على الخلق، مهما اختلف الخلق في مثلث نشآته.

ثم لا عرش لله فعلياً قبل خلق الخلق، حيث السلطة تقتضي مسلطاً

(١) سورة فاطر، الآية: ٤١.
(٢) سورة هود، الآية: ٧.
(٣) سورة الحاقة، الآية: ١٧.

عليه، اللّهم إلّا كامناً في حيطته العلمية وفي القدرة في معنى «خالق إذ لا مخلوق».

فالعرش على أية حال لا يعني مخلوقاً هو سبحانه متكئٌ عليه، مهما كان الملأ الأعلى من العرش حيث تصدر منه أوامره تكوينياً أو تشريعياً بعد الخلق.

وجملة القول في ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ إنه «استولى على ما دق وجل»[١] و«استوى من كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيءٌ لم يبعد منه بعيد ولم يقرب منه قريب استوى من كل شيء»[٢] «استوى تدبيره وعلا أمره»[٣] و«من زعم أن الله من شيء فقد جعله محدَثاً، ومن زعم أنه في شيءٌ فقد زعم أنه محصور، ومن زعم أنه على شيء فقد جعله محمولاً»[٤] وإنما «بذلك وصف نفسه وكذلك هو مستولٍ على العرش بأين من خلقه من غير أن يكون العرش حاملاً له، ولا أن يكون العرش حاوياً له، ولا أن يكون العرش ممتازاً له، ولكنا نقول: هو حامل العرش وممسك العرش ونقول ما قال: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾[٥] فثبّتنا من العرش والكرسي ما ثبّته ونفينا أن يكون العرش أو الكرسي حاوياً وأن يكون عَزَّوَجَلَّ محتاجاً إلى مكان أو إلى شيءٍ مما خلق بل خلقهُ محتاجون إليه»[٦] فهو «المستوي على العرش بلا زوال»[٧].

---

(١) نور الثقلين ٣: ٣٧١ في احتجاج الطبرسي عن الحسن بن راشد قال: سئل أبو الحسن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الآية فقال: . .

(٢) المصدر في كتاب التوحيد عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه سئل عن الآية فقال: . . .

(٣) المصدر في الاحتجاج عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ حديث طويل وفيه قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] يعني وكذلك (٤) فيه عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٤) المصدر.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٦) نور الثقلين ٣: ٣٦٧ في كتاب التوحيد عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ حديث طويل وفيه قال السائل فقوله: الرحمن على العرش استوى، قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: . . .

(٧) المصدر في كتاب التوحيد خطبة لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وفيها: -. .

وعلى الجملة «إن للعرش صفات كثيرة مختلفة له في كل سبب وضع في القرآن صفة على حِدَة فقوله: رب العرش العظيم - يقول: الملك العظيم، وقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ يقول: على الملك احتوى، وهذا ملك الكيفوفية في الأشياء، ثم العرش في الوصل منفرد عن الكرسي لأنهما بابان من أكبر أبواب الغيوب، وهما جميعاً غيبان، وهما في الغيب مقرونان، لأن الكرسي هو الباب الظاهر من الغيب الذي منه يطلع البدع ومنه الأشياء كلها، والعرش هو الباب الباطن الذي يوجد فيه علم الكيف والكون والقدر والحد والأين والمشية وصفة الإرادة وعلم الألفاظ والحركات والترك وعلم العود والبداء، فهما في العلم بابان مقرونان، لأن ملك العرش سوى ملك الكرسي وعلمه أغيب من علم الكرسي فمن ذلك قال: رب العرش العظيم، أي صفته أعظم من صفة الكرسي وهما في ذلك مقرونان»[1].

ثم الآية التالية بيان لذلك العرش وكما نجد له بياناً في كل آيات العرش:

﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ٦﴾:

﴿لَهُۥ﴾ فقط لا سواه ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ومعهما - بطبيعة الحال - السماوات والأرض ﴿وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾.

عرفنا السماوات والأرض، فما هو الثرى وما تحت الثرى؟ هذه الآية منقطعة النظير في ﴿وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ فما هنالك آية أخرى تفسرها، إلّا أن آيات انحصار الكون في السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، تجعل ما تحت الثرى مما تحتهما، إما في السماوات أم في الأرض، هذه أم سائر الأرضين المعنية من الأرض؟ فلنفتش عن الثرى وما تحتها في هذه الثلاث.

(١) المصدر عنه بإسناده إلى حنان بن سدير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العرش والكرسي فقال: . . .

الثرى هي التراب النديُّ، أو الذي إذا بلّ لم يصر طيناً لازباً، والأرض الثريّة هي الندية والليِّنة بعد الجدوبة، وأثرى المطر بلَّ الثرى، وفي الحديث «فإذا كلبٌ يأكل الثرى من العطش» أي التراب الندي، وثرّى التراب إذا بلّه، وأرض مُثرية إذا لم يجف ترابها.

إذاً فـ ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ هو ما تحت الترابات الندية للأرض، وهي في الأغلبية الساحقة في باطن الأرض، وهنا الثرى لا تشمل ما في الأرض على أكنافها حيث تشمله ﴿وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فلتكن الثرى الترابات الباطنة لها، وهي بطبيعة الحال ندية.

إذاً فـ ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ تعم كافة المواد الأرضية التي هي تحت تراباتها الندية من ثروات تحت الأرضية كالفلزات والبترول والفحم الحجري وما إلى ذلك من أثقالها الباطنة تحت ثراها، وإلى الواجهة الخلفية لكل أفق من الأرض، فحينما كانت الكرة الأرضية مستورة الواجهات الأخرى، وراء الآفاق التي كانوا يعيشونها، فـ ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ تعني - فيما تعني - خلفيات الثرى كلها من ثرواتها، ومن الآفاق الخلفية الأرضية ورائها.

إذاً فآية الثرى من آيات الكروية الأرضية، وكما تلمح لأرضين أخرى هي أيضاً ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ وتوضِّحها آية الطلاق ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾[1] أرضون ست أخرى تماثل أرضنا، وهي كلها ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ منبَّثةً حول الكرة الأرضية في خِضمِّ الفضاء، فإن كل أفق من الأرض ما تحتها واجهة أخرى من الأرض، فأرض أخرى غير هذه الأرض، فقد تحوُلُ الأرضون الست حول هذه الأرض في مكاناتها، كما أن ما تحت الثرى تعمها كلها.

ولماذا ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ دون «ما فوق الثرى» حين تعني سائر

(١) سورة الطلاق، الآية: ١٢.

الأرضين؟ لأن المجهول عند الناس حين نزول القرآن وإلى زمن بعيد هو ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ وأما ما فوقها وهي السماء بأنجمها فمعروفة للناظرين، إذاً فحق الكلام كما هو: ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾.

وأصدق ما يروى وأحسنها تفسيراً لما تحت الثرى ما عن رسول الهدى ﷺ حين سئل «ما تحت هذه الأرض قال: خلق، قال: فما تحتهم؟ قال: أرض، قال: فما تحتها؟ قال: خلق، قال: فما تحتهم؟ قال: أرض حتى انتهى إلى السابعة...»[1].

فـ «تحت هذه الأرض» تعني تحت الأفق الذي كان يعيشه السائل، وطبعاً فيه خلق، فإن في كل أكناف الكرة الأرضية خلق كما نحن، ثم «ما تحتهم أرض» هي الأرض الثانية، توسعة في التحت لكل أكناف الأرض! إذاً فـ ﴿تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ تعم التحت المتصل بالأرض وهو ثرواتها، ووراءها، والمنفصل عنها ومنها سائر الأرضين.

وقد تعني ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ كل ما نجهله من خلق الله، فتحت ثرى

(١) الدر المنثور ٤: ٢٩٠ - أخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال: كنت مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك إذ عارضنا رجل مترجّب يعني طويلاً فدنا من النبي ﷺ فأخذ بخطام راحلته فقال: أنت محمد! قال: نعم - قال: إني أريد أن أسألك عن خصال لا يعلمها أحد من أهل الأرض إلا رجل أو رجلان فقال: سل عما شئت قال: يا محمد ما تحت هذه يعني الأرض قال: خلق.... - إلى السابعة - قال: فما تحت السابعة؟ قال: صخرة، قال: فما تحت الصخرة؟ قال: الحوت. قال: فما تحت الحوت قال: الماء قال: فما تحت الماء قال: الظلمة قال: فما تحت الظلمة قال: الهواء قال: فما تحت الهواء قال الثرى قال: فما تحت الثرى ففاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء فقال: انقطع علم المخلوقين عند علم الخالق أيها السائل ما المسؤول بأعلم من السائل قال: صدقت أشهد أنك رسول الله يا محمد أما أنك لو ادعيت تحت الثرى شيئاً لعلمت أنك ساحر كذاب أشهد أنك رسول الله ثم ولى الرجل فقال رسول الله ﷺ: أيها النّاس هل تدرون ما هذا قالوا: الله ورسوله أعلم قال: هذا جبريل. أقول: ونحن لا نعلم عما تحت الأرض السابعة مما روي عنه ﷺ شيئاً.

الأرض منها وهو ثرواتها وخلفها المتصل بها، ثم تحتها من سائر الأرضين الست، هذه الثلاث هي من عامة ما كنا نجهلها، وقد عرفنا شطراً منها بعد أمة من الزمن! ثم يبقى علينا الأرضون الأخرى ولمّا نكشف النقاب عنها، وقد صرح بها آية الطلاق كما لمحت لها آية الثرى، هذه!.

وأما ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ ككل ما هنالك فـ «هيهات هيهات عند ذلك ضل علم العلماء»(١) «عند ذلك انقضى علم العلماء»(٢) «وما يعلم تحت الثرى إلا الله»(٣) مهما كان الرسول ﷺ والأئمة «جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بهم والحجة البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى»(٤) والحجة البالغة على شيء عارف - بطبيعة الحال - ذلك الشيء، فضلال علم العلماء وانقضائه عند ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ يعني غير الحجة البالغة، واختصاص علمه بالله هو حق العلم بما تحت الثرى كما الثرى وما فوقها.

---

(١) المصدر عن أبان بن تغلب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الأرض على أي شيء هي؟ قال: على الحوت قلت: فالحوت على أي شيء هو؟ قال: على الماء قلت: فالماء على أي شيء هو قال: على الصخرة قلت: فعلى أي شيء الصخرة؟ قال: على قرن ثور أملس، قلت: فعلى أي شيء الثور؟ قال: على الثرى قلت: فعلى أي شيء الثرى قال: هيهات...

(٢) نور الثقلين ٣: ٣٧٢ في تفسير القمي عن أبي عبد الله عليه السلام سئل عن الأرض على أي شيء هي؟ قال: على الحوت، قيل له: فالحوت على أي شيء هو؟
قال: على الماء، فقيل له: الماء على أي شيء هو؟ قال: على الثرى، قيل له: فالثرى على أي شيء هو قال: عند ذلك انقضى علم العلماء.

(٣) المصدر في علل الشرائع عن علي عليه السلام قال ليهودي وقد سأله عن مسائل: أما قرار هذه الأرض لا يكون إلَّا على عاتق ملك وقدما الملك على الصخرة والصخرة على قرن الثور والثور قوائمه على ظهر الحوت والحوت في اليم الأسفل واليم على الظلمة والظلمة على العقيم والعقيم على الثرى وما يعلم تحت الثرى إلا الله....

(٤) المصدر في أصول الكافي بإسناده إلى المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل يذكر فيه الأئمة عليهم السلام وفيه: جعلهم الله... ومثله في بصائر الدرجات بسند عن محمد الجعفي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:... وفي الكافي عن سعيد الأعرج عنه عليه السلام مثله.